

## الأستاذ : سالي مراد مقياس : مدخل الى علم الإجرام ماستر ( 1 علم الاجتماع الجريمة والانحراف )

### الاتجاهات النظرية المفسرة لظاهرة الجريمة

#### المبحث الأول : النظريات المفسرة للجريمة:

#### المطلب الأول : الاتجاه الفردي وتفسير الجريمة

تمثل هذا الاتجاه في مدارس قام العديد من علماء النفس فيها بوضع نظريات حاولوا من خلالها تفسير الجوانب السيكولوجية والدوافع النفسية التي تقف وراء السلوك الإجرامي ومن أهم هذه المدارس المدرسة الكلاسيكية والتي يمثلها "أنريكو فيري"، "دوبري" و"دوق ريف"،

ومدرسة التحليل النفسي التي لا تقتصر في الحقيقة على مؤسسها فرويد فحسب بل لها عدة أنصار أخذوا بالمبادئ العامة التي أخذ بها فرويد، وبعضهم قد اختلف معه في أمور عديدة مثل "يونغ"، "أدلر" و"دوقريف" وغيرهم، وبعضهم الآخر بقي ملتزما بالفكر الذي تبناه فرويد، ومن هنا سنتطرق في هذا الاتجاه الفردي إلى أصحاب النظريات التي فسرت السلوك المنحرف في هاتين المدرستين:

#### أولا : المدرسة الكلاسيكية

والتي نتطرق إليها من خلال هذه النظريات التي فسرت السلوك الإجرامي

**1نظرية أنريكو فيري :** أقر "أنريكو فيري" أن العوامل الاجتماعية، البيئية والثقافية ليست وحدها المسؤولة عن ظاهرة الإجرام لأنه لو كان كذلك لأصبح كل الناس مجرمين في المجتمع ما توفرت فيه هذه الشروط، ولذلك فهو يسلم بوجود عوامل أنثروبولوجية خاصة بشخصية المجرم وهو يقسمها إلى ثلاثة أقسام بعضها يتعلق بالتكوين العضوي، وبعضها يتعلق بالتكوين النفسي، وبعضها الآخر يتعلق بخصائص شخصية المجرم كالجنس والعمر، بالإضافة إلى عوامل اجتماعية وبيئية خارجية . 1

**2نظرية جارو فالو :** قريبا من رأي " أنريكو فيري " ذهب " جارو فالو " ونادى بنظرية جديدة عما كان سائدا ومشهورا خصوصا لدى أستاذه " لومبروزو " مفادها أن المجرم ليس خلقة جسمية شاذة وإنما هو نفس شاذة ينقصها الورع والأمانة، ويعد تخلف الورع فيها مصدرا لجرائم الدم، وتخلف أداء الأمانة مصدرا لجرائم المال، وخلص من ذلك إلى القول بأن العقوبة يجب أن تهدف إلى مجازاة المجرم ذاته أي إلى المنع الخاص قبل أن تهدف إلى تخويف كافة الناس أي إلى المنع العام . 2

محمد، الزاقي .علم الإجرام والسياسة الجنائية، ط2، بيروت: دار الكتاب الجديد، ، ص85

2 . رمسيس بهنام .مرجع سابق ، ص) 34

9( ابن الشيخ فريد، زين الدين .علم النفس الجنائي . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1981، ص8،5

وقد توسع المهتمون بالطب العقلي والنفسي في دراساتهم للجوانب النفسية وكانت لهم آراء مختلفة في سبب السلوك الإجرامي في النفس، ومنهم:

**3دوبري**: ركز كثيرا في نظريته على الجانب النفسي كعامل رئيسي للإجرام، فأرجع الانحراف السلوكي إلى انحراف في الغرائز الأساسية عند الإنسان، فحسب رأيه أن محركات السلوك البشري تنقسم إلى ثلاث غرائز، وهي غريزة التكاثر، غريزة المجتمع، وغريزة المحافظة على الجنس، وهذه الغرائز تكون معرضة للانحراف بالمبالغة في واحدة منها أو النقص الشاذ أو الانعكاس، وهذه العوارض هي المسؤولة عن الانحراف السلوكي وبالتالي عن الإجرام. 1.

**4بيناتيل**: لم يتعد "بيناتيل" في نظريته عما ذهب إليه "دوبري" فالإنسان بصفة عامة سواء كان مجرما أو غير ذلك يتوفر على سمات نفسية وسلوكية مثل الأنانية وعدم الاستقرار والجمود الوجداني، فإذا تغلب واحد منها على الآخرين بصفة مرهقة أدى ذلك إلى الانحراف، وكذلك إذا وجدت بصفة مصرّة عند شخص ما يؤدي ذلك إلى الجريمة.

ولقد حاول "بيناتيل" من خلال أبحاثه أن يصل إلى ما من شأنه أن يكشف عن شخصية المجرم قبل أن يرتكب جريمته وذلك بالكشف عن الحالة النفسية التي من شأنها أن تنذرنا بوجود استعداد نفسي وقدرة فعلية للقيام بالفعل الإجرامي وهذه الحالة النفسية أسماها علماء الإجرام حالة الخطر وأطل عليها فيما بعد القدرة على الإجرام، وقد قام "جاروفالو" بتحديد العناصر التي تكون الحالة الخطرة، وتعدى ذلك إلى محاولة معرفة قدرته على التأقلم

والاعتدال، فحسب رأيه أن القدرة الإجرامية للجناح ليست وحدها العنصر الأساسي لحالة الخطر بل يجب البحث عن ما من شأنه أن يمثل عقبة لانحرافه النفسي ويساعده على التأقلم مع المجتمع ومحاولة معرفة درجة القدرة على التأقلم التي بقيت لديه لاستغلالها ودعمها، ويتم ذلك عن طري محاولة إيجاد الوسط اللائق لتنمية هذه القدرة على التأقلم الاجتماعي . 2

وتختلف حالة الخطر من شخص إلى آخر، كما تختلف حالة التأقلم أيضا تبعا لذلك من شخص إلى آخر كذلك، ويميز الباحثون بين شكلين من الحالة الخطرة، حالة خطرة دائمة ويتميز من تكون لديه بالاحتراف في الإجرام بحيث يكون هو مصدر عيشه الدائم، والشكل الثاني هو حالة الخطر المؤقتة، وقد أصبحت حالة الخطر اليوم مثار تساؤل في المحاكم وفي جرائم الشروع بوجه خاص، فكثيرا ما يتساءل القضاة هل كان للجاني القدرة على ارتكاب الجريمة؟ وذلك إذا كان يمكن حمل فعله على أكثر من وجه.

ونشير في آخر حديثنا عن هذه المدرسة أن الكثير من العلماء والباحثين وخاصة من لهم علاقة بعلم النفس الجنائي يذهبون إلى القول بأن الصلة وثيقة بين الأمراض النفسية و الإجرام والانحراف على اعتبار أن المريض نفسيا يرتكب الجريمة تحت تأثير نفسي لاشعوري حاد، يسبب له قلقا وتوترا شديدين، يحاول المريض التخفيف منهما عن طري ارتكاب الجريمة، وليس من شأن العقوبة التي تطب عليه عادة في الجريمة الأولى أن تعالج القلق والتوتر

الذي يشعر به ذلك لصعوبة اكتشاف أعراض المرض النفسي وخاصة في مراحله الأولى، إضافة لصعوبته العلاجية وظروف بقاء المريض مدة طويلة تحت إشراف الطبيب أو المحلل .

النفسي، ومن هنا كان المجرم المريض نفسيا هو مجرم عائد في الغالب، مادامت مشكلته النفسية قائمة لم تحل بعد

ولقد أجريت دراسات إحصائية شملت عددا من المجرمين لمعرفة نسبة المصابين من هؤلاء بخلل نفسي، للوقوف على أثر هذا الخلل في إجرامهم وانحرافهم، ومن أهم تلك الدراسات الدراسة التي أجراها " ريدل " على مجموعة من المجرمين تبين له منها أن % 34 مصابون بخلل نفسي، كما تبين من دراسة أخرى أجراها "سيجنل" على مجموعة من المجرمين لأكثر من مرة أن نسبة المختلين نفسيا تصل إلى حدود المجرمين المعتادين إلى % 54 تقريبا، كما تبين للعالم البلجيكي "فيرفاك" في دراسة أجراها على 1444 مجرم أن نسبة المختلين نفسيا منهم تصل إلى % 14 ، في الوقت الذي أنتها إليه بعض الباحثين أمثال "كرسا نو شكين" و"ريدل" و"شل" وغيرهم إلى أن نسبة المختلين نفسيا من مجموعة الجناة عامة لا تتعدى % 44، فقطوهو ما يظهر بوضوح على أثر المرض النفسي في ارتكاب الجريمة . 1

كما حاول الكثير من الباحثين إيجاد علاقة بين الذكاء والسلوك الإجرامي ، فكانوا يرون أن ضعاف العقول ومنخفضي الذكاء يسهل عودهم إلى الجريمة والتأثير عليهم، ولا يستطيعون إدراك عواقب أفعالهم، فهاهو "دول" 1944 يرى أنه إذا كان الذكاء المنخفض هو سبب الجريمة والانحراف، فان المجرمون سيكونون أقل ذكاء من غير المجرمين.

وقد أبدت بحوث " جلوك" 1948 و "مان" 1941 الفرض القائل بان المجرمين أقل ذكاء من غير المجرمين، أما بحوث " لان" و" ويلتي" 1948 و " هيل" 1941 و " وودوارد" 1988 و " مارتوس " 1988 على أنه ليس ثمة علاقة بين الذكاء و الجريمة، كما يرى "تراسمان" أن متوسط ذكاء العائدين يكون

على الأقل مثل متوسط ذكاء المجرمون الراشدون ومن المحتمل أن يكون أعلى منه 2.، في حين ربط بعض المهتمين بعلم النفس بين الجريمة وبين

1. - سعد، المغربي. علم النفس الجنائي. مرجع سابق، ص 934

2 - مأمون، سلامة. أصول علم الإجرام والعقاب. الإسكندرية: دار الكتاب للنشر والطباعة 1981، ص 918

بعض الأمراض النفسية كالعصاب والذهان "فثيودور رايك" يرجع الإجرام إلى شعور المجرم بالذنب قبل ارتكابه للجريمة، هذا الشعور الذي يجعله قلقا، والجريمة هي الوسيلة المناسبة التي بها يتجاوز حالته النفسية لينال العقوبة التي يخفف بها من شعوره بالذنب فهو عندما يرتكب الجريمة فإنما يسعى إلى العقوبة لإزالة الشعور بالذنب الذي ضل يراوده.

**ثانيا :مدرسة التحليل النفسي :**ومن أهم النظريات التي تناولت تفسير السلوك الإجرامي في هذه المدرسة نذكر مايلي:

**1نظرية التحليل النفسي عند فرويد :** Freud تعمق فرويد في النفس البشرية وراح يفسر السلوك الإجرامي انطلاقا من تقسيمه للنفس إلى ثلاثة أقسام و هي :أهو Id ، الأنا « Ego و الأنا الأعلى Super Ego»مرجعا السلوك الإجرامي إما إلى عجز الأنا عن ، تكيف الميول الفطرية و النزاعات الغريزية لدى الشخص مع متطلبات و قوانين الحياة الاجتماعية، أو عن إظهارها أو كبتها في اللاشعور و إما إلى انعدام الأنا العليا أو عجزها على أداء وظيفتها في الرقابة و الردع، و في الحالتين تنطل الشهوات و الميول الغريزية من قيودها التي تجدد الإشباع عن طري السلوك الإجرامي.1

ويؤكد فرويد على أن الإجرام هو تعبير عن أزمة نفسية داخلية وإشباع لا شعوري لغريزة عدوانية مكتسبة من فترة النشأة والتكوين، والتي نمت في ظل فشل مؤسسة الأسرة في التهذيب والتربية، سواء بالقمع والحرمان والقسوة، أو بالإشباع الزائد لل رغبات، وعدم رفض أي طلب أو مواجهته بالتقويم المعياري السلبي، كل ذلك ينتج لاحقا بين المكونات الذاتية الشعورية وغير الشعورية، فتضطرب الدوافع العدوانية وتخرج عن السيطرة، أو يتحول الحال إلى

رد فعل عنيف ومتطرف على معايير المجتمع فيحلو حينئذ انتهاك القانون والاعتداء على الحياة الاجتماعية، بما فيها من أعراف وتقاليد ومقدسات . 2

**2نظرية يونغ : Yung** يشير " يونغ " إلى أن هذه الشخصية لديها اضطراب ولو بسيط في جانب واحد على الأقل من جوانب الشخصية، كما أنه يوافق فرويد على أن العصاب هو عملية ناتجة عن كبح لطاقة الليبدو، ويؤكد يونغ أن العصاب يزداد بواسطة عوامل ثانوية .

1- (August Eichhorn, The Way To World youth, Meridianborks, 1995, p215

2- (Franck, C. Recidivison Psychopathy and Personality. Birt, J. Deling, 1950, pp 192, 201.

مثل التدليل والتوتر الناتج عن ضغوط الحياة، وأن تكرار العصاب يمكن إرجاعه إلى سوء إدراك وفساد العلاقات الشخصية، كما يرى يونج أن اللاشعور الجمعي الفطري قد هياً شخصية الفرد بطرق مختلفة للارتباط والانتواء، وأن الهدف من التفرد هو الوصول إلى الخصائص الفطرية المميزة لتحقيق آمال وأهداف الشخص، فإذا ما أحبط هذا الهدف من العالم الخارجي فإن أسلوب التربية الذي نشأ عليه الفرد يختلف عن ميوله الفطرية، عندها

يحدث الصراع بين اللاشعور والشعور، الأمر الذي ينتج عنه العصاب . 1

ومع تزايد الميول لتحقير حقيقة الفرد من طرف المحيط الخارجي تزداد الصراعات لدى الفرد التي ربما تحدث خلافاً بين المكونات المختلفة في الشخصية، مثل اختلاف الاتجاهات والمكونات المسيطرة مع الاتجاهات والمكونات الكامنة، والتي قد تفقده القدرة على فهم البيئة والمجتمع بدقه والتأثير فيهما بوضوح، ويؤكد يونج على أنه يوجد بداخل كل منا قدر من هذا اللاشعور الجمعي، فكل طفل يولد ولديه استعداد لإدراك أمه كما يولد ولديه الاستعداد للسيطرة والقسوة، ومثل هذه الصور والاستعدادات الموروثة التي تمارس تأثيراً توجيهياً على سلوك الفرد منذ بدء حياته فإنها تنمو لديه وتدعم من خلال خبراته الذاتية.

**3 نظرية أدلر : Adler** يؤكد " أدلر " على أن الشعور بالنقص الزائد منذ الطفولة يدفع الفرد إلى تبني أنماط غير مناسبة من السلوك للتعويض عن مشاعر النقص، الأمر الذي يجعله يلجأ إلى منط خاص به ليخفف مخاوفه ومشاعره حول النقص الذي يعاني منه، في حين لم يهمل جوانب تنشئه الطفل الأسرية المسؤولة عن اضطرابات سلوكه مثل الحرمان والتدليل، حيث يرى أن سلوك الفرد متعلم اجتماعياً وأن تقصير الوالدين في تعزيز محاولات الطفل نحو النجاح والتفوق قد يقوده إلى العصاب والإحباط ويشعره بالفشل وعدم النجاح ويقلل من ميله الاجتماعي، ويزيد من عزله ويمنعه من التفاعل مع الآخرين في المجتمع ويدفعه إلى تبني أهداف خاصة له متسلطة ومتعجرفة ولا تحق ذاته المثالية، التي لا تخدم أهداف المجتمع ، ويصبح أنانياً

ومنطويا حول نفسه، كما يؤكد أن الفشل وشعور الإنسان بالتعاسة واليأس والاستسلام وعدم القدرة على تحقي أهدافه الاجتماعية تقوده إلى السلوك غير السوي .

---

1- Mavtin.H,Lewis.Y.Criminology :crime And criminality.rd ed,How GhtonMiffin, Boston,1983,pp 478,479.

إن النقص في الميول الاجتماعية لدى الفرد حسب أدلر يجعل منه نموذجا فاشلا في الحياة وهو ما يؤدي به إلى العصاب ويدفع به إلى الإجرام والانحراف كالمتهان السرقة والاحتيال.

**4نظرية هورني : Horney** يرى أن العدوان دافع مكتسب ويعد وسيلة يحاول بها الإنسان حماية أمنه، فالقلق الذي يعاني منه الفرد نتيجة خبرات الطفولة المؤلمة المتمثلة في اللامبالاة والخلافات العائلية في المعاملة والإسراف في القسوة أو التدليل الزائد أو الحماية الزائدة قد يثير الفرد للكفاح والتغلب على مشاعر عدم الأمن والعجز، مندفعاً في ذلك إلى إتباع سلوكيات منحرفة وغير سوية من أجل تحقي ذاته؛ فالطفل القلق الذي ينعلم لديه الشعور بالأمن ينمي مختلف الأساليب ليواجه بها ما يشعر به من عزلة وقلة حيلة، فقد يصبح عدوانياً ينزع إلى الانتقام بنفسه من هؤلاء الذين نبذوه أو أساءوا معاملته، أو يصبح مدعنا حتى يستعيد الحب الذي فقده مرة أخرى، وقد يكون لنفسه صورة مثالية غير واقعية ليعوض النقص والقصور الذي يشعر به وقد يحاول رشوة الآخرين ليحبه، أو يستخدم التهديدات ليرغم الآخرين على حبه، وقد ينغمس في الإشفاق على ذاته والرثاء لها ليكسب إشفاق الناس وتعاطفهم، فإذا لم يستطع الحصول على الحب .فقد يعمل على تحقي القوة والسيطرة على الآخرين، وبهذه الطريقة يعوض إحساسه بالعجز ويجد منفذا للعدوان، ويميل لاستغلال الناس، وقد يصبح شديد الميل إلى التنافس ويصبح الكسب عنده أهم بكثير مما يحققه من انجاز وقد يحول عدوانه إلى ذاته ويحقر من ذاته.

**5نظرية " : Fromm** يشير فروم Fromm "إلى أن الفرد يتعثر في نموه نتيجة للسلوك غيرا لسوي للوالدين، حيث يري أن أنماط المعاملة الوالدية وخاصة الإهمال والتدليل يجعلان الفرد يخل لنفسه وسائل تمكنه من التكيف بصورة مختلفة لإعادة التوازن مع نفسه، قد تتمثل تلك الصور في العدوان ومعارضة المجتمع ورفض مبادئهم وإلحاق الأذى بالأفراد، تمثل تلك الصور فيما سماه فروم ( بالحرباء ) حيث أنهم

يتوارون في الأدوار الاجتماعية المقبولة في حين أن المسايرة الذاتية شعور غير مرغوب فيه لديهم، وقد أطل فروم على هذه الفئة اسم الشخصية استغلالية المرجع وهم الذين ينظرون إلى أن كل شيء حسن يكون مصدره خارجيا، وأنهم يكافحون من أجل الحصول على التحكم في هذه المصادر بالقوة والدماء، ويؤكد بأن الحافز إلى التعالي هو رغبة الإنسان في الارتفاع والارتقاء فوق الطبيعة الحيوانية ليصبح خلّاقا، وإذا ما أحببت هذه الحوافز الخلاقة فإنه يصبح عدائيا مدمرا وأن

الحافز والدافع البيولوجي الطبيعي هو الذي يشكل سلوك الفرد، وبناء على ذلك فإن الفرد قد يسلك سلوكا عدوانيا نتيجة لقوة في الحوافز والدوافع، خاصة أن الإنسان يكافح من أجل التخلص من عجزه لأجل تحقّي حاجاته وذاته والسيطرة على مادية المجتمع، وبذلك ينظر فروم إلى أن الفرق بين الشخصية السوية وغير السوي

---

(9) Ibid, p500

يكمن في عثور الفرد السليم على إجابة لدوافعه تشبع معظم حاجاته، ويشير سوليفان إلى أن السلوك المضطرب ينشأ من تفاعلات الأفراد في الحياة اليومية، أي أن السلوك المضطرب يظهر دائما في علاقة الفرد مع الأفراد

الآخرين، وأن القلق ظاهرة ناتجة عن سوء هذه العلاقات المتبادلة، كما اعتبره "سولي فان" استجابة تحصيل من الفرد بسبب شعوره بالنبذ من قبل الآخرين.

فالشخصية غير السوية لكي تتخلص من مصادر القلق وتنعم بالأمن فإنها سوف تنظر إلى مجاراة عادات المجتمع وتقاليد، ولذلك يعيش هذا الفرد ولديه اتجاهات حاقدة تجاه الآخرين.

**6 نظرية أريكسون : Eriksson** يؤكد أريكسون على أن مشكلات الأطفال كالعنوان ترتبط بالممارسات الوالدية القاسية والمليئة بالنبذ والسيطرة، وأن هذه الممارسات قد تجعل من الفرد في الكبر يسيطر على من حوله، سواء السيطرة التي تتسم بالقبول والحب، أو السيطرة الممثلة في القسوة والعدوان، وأن تبني الفرد للسلوك العدواني ومعاكسته للقيم السائدة واتخاذ هوية سلبية، يحدث عندما لا يجد الدعم من الآخرين، وكذلك في غياب المناخ المناسب لتقدير الطاقة الداخلية، الأمر الذي يمهد لظهور سلوكيات سيئة كالاضطراب الاجتماعي والتحيز .

### المحاضرة رقم 03 : مقياس علم الاجرام السنة الاولى ماستر الاتجاه التكاملي في تفسير الجريمة:

بعد استعراض الاتجاهات التي تحاول تفسير السلوك المنحرف بإرجاعه إلى عامل واحد، تبين لنا صعوبة إرجاع هذه الظاهرة إلى عامل واحد من العوامل المختلفة، ونتيجة لذلك سنتطرق إلى ما يسمى بالاتجاه التكاملي أو النظرية التكاملية في تفسير الجريمة والانحراف.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الإجرام ما هو إلا محصلة مجموعة من العوامل يرجع بعضها إلى عوامل بيولوجية ويرجع بعضها إلى عوامل نفسية، ويرجع بعضها إلى عوامل اقتصادية أو اجتماعية، وهم بذلك يدخلون في الاعتبار كل الظروف والعوامل التي تحيط بالموقف، لأن السلوك يعتبر استجابة لموقف معين يرتبط بالفرد ككائن اجتماعي نفسي في أوساط اجتماعية عديدة كالأسرة، المدرسة، النادي، المؤسسات المهنية وغيرها، ويتأثر بعوامل متعددة كالعوامل الوراثية، النفسية، الاقتصادية والاجتماعية، وغير ذلك من العوامل المتشعبة والمتداخلة.

وبناء على هذا فان أصحاب هذا الاتجاه يؤكدون على أن الاتجاه السليم في تفسير السلوك الإجرامي والمنحرف يجب أن لا يقتصر على عامل واحد معين سواء كان هذا العامل بيولوجي أو نفسي أو اجتماعي



أو غير ذلك، وإنما التفسير العلمي والمنهجي هو الذي يؤكد على تعدد العوامل التي تفسر السلوك الإجرامي والمنحرف.

في ضوء هذا الاتجاه الفكري الجديد قام " وليام هيلي " بدراسة مفصلة لعدد من الأحداث المنحرفين حولوا على المعهد السوكوباتي للأحداث في شيكاغو) الذي يطلق عليه حالياً معهد بحوث الأحداث (وقد شملت الدراسة الأساس الاجتماعي لكل حالة ودراسة تاريخ تطور نموها والاختبارات الطبية والسيكولوجية، وقد انتهى " هيلي " إلى عدة نتائج نشرها سنة 1915 في كتابه ( الفرد الجانح) ومن أهم هذه النتائج تأكيده على تعدد العوامل المسببة للجنوح وشدة تعقدها بشكل لا يؤيد ما ذهب إليه النظريات العامة . 1

ولقد ذكر العالم الانجليزي " سيرل بيرت " في كتابه) الجانح الصغير (ما يربو على المائة والسبعين عام لا م ن عوامل الجنوح ، وه و يصنف هذه المجموع ة إلى أربع مجموعات وهي مجموعة العوامل الرئيسية، ومجموعة العوامل المساعدة بالدرجة الأولى، ومجموعة العوامل الثانوية، ومجموعة أخيرة هي مجموعة العوامل غير العامل، والتي لا يمكن إغفالها، كما أنه وجد أن العوامل المسؤولة عن الجنوح بلغت من خمسة إلى تسعة عاملا .

---

(1) William Healy. Boston, Little- Brown,1915,p 132

ولذلك دلّت أعمال الأمريكيين (شلدون واليانور جلوك) على اتجاه تعددي ينظر إلى الإنسان على أنه وحدة عضوية نفسية اجتماعية، وانعكس ذلك في بحوثهما التتبعية طويلة المدى، ووصولهما إلى ثلاثة جداول للتنبؤ بالنجاح ..أحدها يحتوي على عوامل اجتماعية مثل معاملة الأب ورقابة الأم واهتمام الوالدين، والثاني خاص بالعوامل النفسية مثل الرغبة في تأكيد الذات والميل إلى التخريب، والثالث يتعلق بالعوامل المتأثرة بالجهاز العضوي مثل المخاطر والاستسلام والانبساط والإيحاء، والتعصب للرأي وعدم الاتزان الانفعالي . 1

وفي هذا الصدد يقول " كلارك " إن الوراثة والبيئة وتفاعل الفرد مع المجتمع والطبيعة البشرية بكل إبعادها والخبرة الإنسانية بكل مفاهيمها هي أصول أولية للجريمة، وليس هناك جانب واحد من هذه الجوانب يمكن أن يقدم لنا بحد ذاته كل ما نحتاج إليه من معارف .ومعلومات لتفسير الجريمة أو منعها. 2

ويؤكد " شلمان " مبدأ تعدد العوامل والقوى في تفسير السلوك الإجرامي بقوله "إن أهمية الحياة الإنسانية في ضوء مقياس القيم وأشكال ردود الفعل المتوقعة نماذج معينة من المثيرات والفروق التصورية في تقييم المثيرات والبناء العام للشخصية تشكل جميعها عوامل أو قوى ذات أهمية كبيرة في تفسير السلوك الإجرامي

ويشير حسن الساعاتي في كتابه علم الاجتماع الجنائي إلى أن بعض العلماء المحدثين وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية اتجهوا اتجاهها تكامليا تجتمع فيه كل النظريات والمدارس، والاتجاهات التي تحاول التعرف على أسباب الجريمة، وعلى أساس أن مرتكبها هو إنسان كائن عضوي نفسي واجتماعي أي مكون من أعضاء تؤدي وظائف معينة وفق نفس مفعمة بأحاسيس شعورية أو لاشعورية وسط دوائر سببية متداخلة ومركبة، وفي إطار ثقافي شامل من القيم والعادات والعراف والتقاليد . 4

والواقع أن التفسير الذي يسير بمقتضى العوامل المتعددة يكاد أن يلقي قبولا عاما من كثير من العلماء، إلا أنه لم يخلوا من بعض أوجه النقد التي وجهت إليه والتي نذكر منها:

يقف الاتجاه التكاملي في تفسير الجريمة والانحراف حجر عثرة أمام وضع نظرية عامة في أسباب الإجرام يمكن تطبيقها على كل مجرم فنعرف على الفور مكانه من المشكلة.

إن هذه النظرية لم توضح كيف يمكن قياس الدقائق والجزئيات مع تعددها وتشابكها، واختلافها من فرد لآخر اختلافا يجعل من المستحيل حصرها . 5

1- حسن عيسى . السجون مزاياها وعيوبها من وجهة النظر الإصلاحية. المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1984 ( ) . ص ص 59،56

(2) Cyril Burt. the Yong Delinquent, university of London Press, 1952,pp 590,600.

(3) Bruse J. Cohen. Crime In Amirica. Second Edition F.E- Peacock Pub- Lications, Inc.Itaseo Illinois, 1977,p102.

4- حسن الساعاتي .علم الاجتماع الجنائي .مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص ص 136 ، 137

5- صالح محمد آل رفيع العمري .العود إلى الانحراف في ضوء العوامل الاجتماعية .أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2002 .ص66

إن نقطة الضعف الواضحة في هذا الاتجاه هو تجسيده لعدد كبير من الأفكار والبيانات التي تعد ذات أهمية ممكنة في تفسير الجريمة، دون أن يقدم أي دليل على أكثر هذه التأثيرات غلبة وأهمية، وهذا التطرف يعني عدم وجود نظرية على الإطلاق، فهناك فقط حالات وأمثلة كل منها تختلف عن الأخرى، وهذا يتطلب نوع من التفسير ومن ثمة يصبح هذا الاتجاه مناقضا لكل النظريات العلمية التفسيرية . 1

إن الإجرام أو العودة إليه وفقا لتصور الاتجاه التكاملي هو نتاج لتفاعل جميع العوامل الذاتية والبيئية أي نتاج العوامل الجسمية والنفسية والعقلية من جانب والعوامل الاجتماعية والاقتصادية الداخلية والتمثلة في الفقر، المسكن والعوامل الأسرية من جانب آخر وأخيرا العوامل الاجتماعية الخارجية المتمثلة في المدرسة، العمل، العوامل الايكولوجية، وسائل الترفيه، وسائل الاتصال والإعلام والصراع الحضاري والقيم الثقافية للمجتمع، فأصحاب هذا الاتجاه يرون السلوك الإجرامي هو سلوك مركب لا يمكن أن يخضع للتجزئة، أي لعوامل ذات صبغة اجتماعية أو عضوية أو نفسية، بل إن مزيجا مشتركا من عدة عوامل هو الذي يؤدي إلى ارتكاب الجريمة والعودة إليها، مما أدى بنا إلى اعتماد هذا الاتجاه في تفسير ظاهرة العود إلى الإجرام.

## المحاضرة الرابعة :

### الاتجاه الإسلامي وتفسير الجريمة :

قبل التطرق إلى التفسير الإسلامي للجريمة يجب أن نعرف موقف الإسلام من نظريات وتفسيرات علم الاجتماع الجنائي وذلك من خلال عرضها على العقيدة والثقافة الإسلامية والتشريع في المجتمع الإسلامي.

أولاً:موقف الإسلام من تفسيرات علم الاجتماع الجنائي للجريمة

### 1الإسلام والنظرية البيولوجية في تفسير الجريمة:

إن النظرية البيولوجية تقوم بتفسيراتها للجريمة على محورين أساسيين هما:

محور الوراثة، ومحور التكوين الإجرامي أو ما يمكن أن نطلق عليه المظهر الدال على الإجرام.

أ الإِسلام والتفسير الوراثي للسلوك الإجرامي.

إذا كانت الوراثة في علم الاجتماع الجنائي تشير إلى وراثة الخصائص والصفات الجسمية أو إلى وراثة

السلوك فهنا نحن أمام احتمالين لا ثالثا لهما.

أولهما أن الوراثة تعني وراثة الخصائص والصفات الجسمية فحسب، وهنا لا تصبح الوراثة عاملا مفسرا للجريمة.

وثانيهما أن الوراثة تعني وراثة الخصائص الجسمية وكذلك وراثة السلوك أو النمط السلوكي وهنا يمكن قبول الوراثة بكونها عاملا مفسرا للجريمة .

إن النظرية البيولوجية في مراحلها الأولى قالت بوراثة السلوك الإجرامي وقالت بالاحتمية البيولوجية، أي أن وارث السلوك الإجرامي حتما يرتكب الجريمة، فهي تربط بين الوصمة الإجرامية الممثلة في وجود التكوين الإجرامي المميز في الشخص من ناحية، وضرورة إقدامه على ارتكاب الجريمة من ناحية أخرى، إلا أن هذا التوجه في تفسير الجريمة لاقى نقدا كبيرا من قبل العلماء الذين نسبوا للمبروزو قصورا شديدا في الإحصاء والتعداد، وجهلا بقوانين الوراثة، ومبالغة في إظهار أهمية العيوب الجسدية وإنكار العوامل البيئية والظروف الاجتماعية في نشأة الجريمة . 1

ومن الناحية العلمية فإن هذه النظرية لم تثبت صحتها أصلا باعتبارها عاملا مفسرا كما أنها نظرية لم تعتمد على دراسة عدد كاف من الحالات فلومبروزو كان يعدل مقولاته التفسيرية للجريمة، استنادا إلى حالات فردية محدودة

فما موقف الشريعة الإسلامية من التفسير الوراثي للجريمة؟

أولا :يوضح التراث الإسلامي أن ثمة وراثة للخصائص البدنية، إذ نجد الإسلام ينصح بعدم الزواج الداخلي زواج الأقارب وأن هذا النصح يساير ما أقره العلم الحديث من أن هذا النوع من الزواج يعني نسلا ضعيفا ومتخلفا

---

1 - رمسيس، بنهام . المحرم تكويننا وتقويمنا . الإسكندرية: نشأة المعارف ، 1978 ، ص39

حيث يتوارث الأبناء الأمراض المتأصلة والمتوارثة في الأسرة، وكذلك العيوب الجسمية السائدة بين أفرادها، كما

أكدته الدراسات والأبحاث الميدانية حيث أن 80% من أطفال زيجات الأقارب مصابون بعيوب خلقية، ومن

بين 5000 حالة مصابة بالتخلف العقلي يوجد منها 4400 نتيجة هذا النوع من الزواج كما تبين أن العرض الطبي الذي يتم قبل الزواج لا يكشف إلا عن 10% فقط من الأمراض الوراثية، أما باقي الأمراض فيفضل مخبوءا حتى تتجسد عيوب خطيرة في الذرية من البنين والبنات . 1

وهذا ما أقره عليه الصلاة والسلام في قوله " لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويًا " ولا يكتفي الإسلام بإعطائه الدليل على قبول توارث الصفات الجسمية بالأمر والتوجيه لأبنائه بالابتعاد عن زواج الأقارب بل أن هذا الموقف يتأكد من خلال استخدام توارث الصفات الجسمية كدليل جنائي وهذا ما توضحه حادثة هلال بن أمية.

فقد روى أحمد وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :جاء هلال بن أمية وهو احد الثلاثة الذين خلفوا من أرضه عشاء، فوجد عند أهله رجلا فذكر حديث تلا عنهما إلى أن قال :ففرق النبي بينهما وقال : إن جاءت به أصيهب، أريصح، حمش الساقين فهو هلال، وإن جاءت به أروق جعدا، جماليا، خدلج الساقين، سابغ الآليتين فهو للذي رميت به، فجاءت به أروق جعدا، جماليا، خدلج الساقين، سابغ الآليتين، فقال رسول الله عليه الصلاة

والسلام " :لولا الإيمان لكان لي ولها شأن، فظاهر الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد علم وقوع الزنا باستخدام هذه القرائن الوراثية في الوليد، وهذا تأكيدا على أن الإسلام يقبل ويقر بوراثة الخصائص الجسمية. 2

ثانيا من منظور إسلامي فإن السلوك مهما كان نوعه فهو لا يورث وهو بذلك يساير أحدث ما انتهى إليه العلم والمنطق ، فضلا عن مسابرة لمبدأ العدالة والأصل الشرعي للمسؤولية المدنية والجنائية، فالإسلام يرفض تماما القول بالتفسير البيولوجي للجريمة انطلاقا من قاعدة إسلامية أساسية تحدد الثواب والعقاب وهي قاعدة حرية الاختيار وإنكار الجبرية، فالمسؤولية تقوم في الإسلام على اعتبار الفرد حرا فيما يفعل وفيما يقول ويسلك وهذا ما

يوضحه القرآن الكريم في مواضع عدة لا يمكن حصرها في هذا المقام، والتي تؤكد أن الإنسان

1 - عبد الله عبد الغني غانم .مرجع سابق، ص( 125

2 - نقلا عن محمد رأفت عثمان .القضاء في الفقه الإسلامي .العين،الإمارات العربية المتحدة، 1987 ، ص( 212

مختار فيما يفعل والتي منها قوله تعالى: "وهديناه النجدين" (1)، وقوله: "فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى" (2)، وقوله كذلك: "إن هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا" (3)، فالإسلام يرفض أن يتحمل المرء إلا ما كسبت يده وإلا ما كان مسؤولا عنه، ففي الإسلام لا يجوز أن يتحمل الإنسان وزر غيره قال تعالى: "ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى" (4)، وقوله: "كل نفس بما كسبت رهينة" (5).

إن موقف الإسلام من قضية وراثته السلوك الإجرامي أو حتى وراثته الميل إلى الجريمة، هو موقف يسائر العلم الحديث الرافض لهذه النظرية خاصة في مجال السلوك وهو يوافق كذلك المعمول به في جميع المجتمعات البشرية، فلا يوجد أحد يعفى من مسؤولية ارتكابه للجريمة لأن أبويه مجرمان أو لأنه سليل أسرة مجرمة، وأنه من الطبيعي أن ترتكب الجريمة ولا تدخل له بارتكابها لأنه ورث ذلك وفعل ذلك جبرا لا اختيارا. كما يسائر ذلك مبدأ العدالة ومنطق القانون بما فيها القانون الوضعي الذي يجازي على قدر الفعل ولا يقبل التقصير مع مرتكب الجريمة ولا يأخذ القاضي أبدا بفكرة السبب البيولوجي رغم أنه قد يأخذ بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية المصاحبة لارتكاب الفعل.

#### ب: التكوين الإجرامي والتفسير الإسلامي للجريمة

تعتمد النظرية البيولوجية على عنصر الوراثة أساسا في تفسير الجريمة إلا أن ثمة تفسيرا بيولوجيا آخر لارتكاب الجريمة أساسه التكوين الجسماني الذي يعتمد في تفسير الجريمة على الشكل البيولوجي للمجرم، بحيث يصير وجود بعض الصفات الجسمانية هي في حد ذاتها تفسيرا للجريمة ومرادفا لها، ووصمة على الشخص تنبئ بإجرامه، فكان التفسير بالتكوين الإجرامي يركز على شخص المجرم نفسه ووراثة هذا الشكل.

1 - (سورة البلد الآية 9

2. - سورة طه الآية 122

3 - سورة الإنسان الآية 2

4 - سورة الأنعام الآية 164

5 - سورة المدثر الآية 38 .